مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

رت م د: 1112-685x
رت م د إ: 2588-2236

المجلد: 19 / العدد: 01 / جـــوان 2026
ص ص: 293 ـ 306

العولمة الثقافية ودورها في تشكيل العلاقات العاطفية الحديثة

Cultural globalization and its role in shaping modern

عبد النور صالح[1]
المركز الجامعي تيبازة - الجزائر
salah.abdennour@cu-tipaza.dz

د. دلدول جمال
المركز الجامعي تيبازة - الجزائر
deldoul.djamel@cu-tipaza.dz

تاريخ الارسال: 2025/02/09 تاريخ القبول: 2026/03/09 تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص:

مع التسارع المذهل في وتيرة انكماش العالم، لم تعد الثقافات البشرية تخضع في تفاعلها إلى المألوف من سيرورات الانتشار، بل أصبحت تتداخل بشكل كثيف مع تيارات ثقافية عالمية مهيمنة. وهي الظاهرة المعروفة بـ«العولمة الثقافية" التي تتمثل في تعميم القيم الليبرالية الغربية على بقية ثقافات العالم، بما يضمن إعادة تشكيل قيمها وأفكارها وأنماط سلوك أفرادها بما فيها علاقاتهم العاطفية الخاصة.

لقد غيّرت العولمة الثقافية وبشكل ملفت الطريقة التي ينظر بها الناس إلى الحب، والزواج، والعلاقات الشخصية. ففي ظل تأثير وسائل الإعلام، والتكنولوجيا الرقمية، ومنصات التواصل الاجتماعي، أصبحت الأنماط العاطفية التقليدية تواجه ضغوطًا للتكيف مع هذه المفاهيم الجديدة للعولمة.

وبتحليل نقدي سوسيولوجي يعتمد الأدبيات النظرية، تبيّن أن هذه العولمة تؤدي إلى انتشار النموذج الفرداني الغربي لهذه العلاقات بما يهدد النماذج المحلية. كما أنها حولت العواطف إلى سلعة استهلاكية أفقدتها أصالتها، مما عزز النزعات الفردانية على حساب التضامن الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: العولمة الثقافية، العلاقات العاطفية، العلاقات النقية، عولمة العواطف

Abstract:

[1] طالب دكتوراه.

With the astonishing acceleration of the world's contraction, human cultures are no longer subject to familiar diffusion processes in their interactions, but have become densely intertwined with dominant global cultural currents. This phenomenon, known as "cultural globalization," involves the generalization of Western liberal values to the rest of the world's cultures, ensuring the reshaping of their values, ideas, and behavioral patterns, including their private emotional relationships.

Cultural globalization has strikingly changed the way people view love, marriage, and personal relationships. Under the influence of the media, digital technology, and social media platforms, traditional emotional patterns now face pressure to adapt to these new concepts of globalization.

A critical sociological analysis, drawing on theoretical literature, reveals that this globalization leads to the spread of the Western individualistic model for these relationships, threatening local models. It has also transformed emotions into consumer commodities, stripping them of their authenticity, thereby reinforcing individualistic tendencies at the expense of social solidarity.

Key words: cultural globalization, emotional relationships, pure relationships, globalization of emotions

مقدمة:

ضمن توجُّه تَسيُّدها على العالم، وعلى غرار هيمنتها الاقتصادية والسياسية تحاول الليبرالية العالمية وبشكل حثيث القفز على خصوصيات المجتمعات والشعوب لترويضها فكريا بما يضمن هيمنة نموذجها الثقافي تحت مسمى "العولمة الثقافية" التي لم توفر مجالا رمزيا إلا وحاولت اختراقه واستتباعه، بما في ذلك مجال العلاقات الانسانية الخاصة ضمن ما أصبح يطلق عليه؛ "عولمة العواطف" أو "عولمة الحب".

ولأن العواطف تشكل مكونا أساسيا من مكونات الوعي الإنساني، فقد ظلت تشكل إلى جانب العقل ثنائية جدل فلسفي ومعرفي مستمر، وبقدر ارتباط موضوع العواطف بالانفعالات النفسية للأفراد، فإن له أيضا سياقات اجتماعية وثقافية تُشكله؛ سواء منها مضامين تمثلات أصحابها أو أشكال تعبيرهم عنها. غير أن هذه العولمة تحاول الإيحاء بأن

العواطف هي من الإنسانيات المتعالية على الخصوصيات، وأن الحب هو من المفاهيم العابرة للثقافات، بيد أنها تتغافل عن أن لهذه العواطف سياقاتها الاجتماعية والثقافية التي تتم في إطارها، بما في ذلك السياق الليبرالي ذاته، والذي انتهت فيه عواطف الحب إلى نماذج من الحرية الشخصية والفردانية العاطفية المتجردة من أية كوزمولوجيا قيمية دينية أو معيارية اجتماعية.

هذه الغايات التي انتهت إليها الليبرالية الغربية تأتي ضمن سيرورة من التحولات التي عرفتها المجتمعات الرأسمالية، والتي عرفت فيها العلاقات الإنسانية تغيرات عميقة مست مضامين هذه العواطف وحولتها من عناصر للتضامن الاجتماعي إلى مؤشرات من اللامعيارية المعولمة. فما هي محددات هذا التدافع الثقافي العالمي؟ وما هي تحولاته التي مست مجال العواطف في السياق الليبرالي المهيمن؟ وما هي آفاق تأثيرها في الثقافات الأخرى؟

1. مقاربة مفاهيمية

1.1. العولمة الثقافية

العولمة مفهوم حديث الظهور برز بشكل واضح خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي، وقد ارتبط بالهيمنة الجيو-سياسية والاقتصادية والعسكرية لأمريكا والغرب بعد نهاية الحرب الباردة.

تشير لفظة عولمة إلى تعميم الشيء وتوسيعه ليشمل العالم كله فيصبح عالميا؛ وقد اصطلح بها وبشكل عام على سيادة النموذج الليبرالي الغربي. والذي هو مصطلح ينطوي على طموح الارتفاع بما هو خصوصي إلى مستوى عالمي وإنساني. ولذلك اعتبرت ظاهرة العولمة نزعة شمولية توَسُّعية عابرة للحدود، تقوم على ثلاثة أبعاد رئيسية: سياسية، اقتصادية وثقافية.

وإذا كان مفهوم الثقافة يشير إلى نوع من إدراك سائد[1] داخل كل مجتمع، يشمل قيمه وأفكاره ومعتقداته التي يشكل من خلالها أفراده طباعهم وشخصياتهم، فإن العولمة الثقافية هي محاولة تعميم للقيم والأفكار والمعتقدات الليبرالية الغربية على بقية دول العالم. وهو

تعميمٌ يقوم على تساوق النزعة المركزية لهذا الغرب مع طفرة تكنولوجيا الاتصالات الأخيرة، الشيء الذي أدى وبشكل غير مسبوق إلى تحولات كبيرة في قيم وممارسات الثقافات الأخرى.

2.1. العلاقات العاطفية

العاطفة في اللغة هي الحنو والشفقة والوصل، وفي لسان العرب: عَطَفَ الشيءَ: حَناه وأَمالَه، وتعطَّف عليه؛ وصله وبرَّه، وتعطَّف على رحمه؛ رق لها، والعطَف؛ بفتح العين والطاء، نبت يتلوى على الشجر لا ورق له ولا أفنان، ويزعمون أن بعض عروقه يؤخذ ويُلوى ويُرقى ويطرح على المرأة الفارِك [الكارهة لزوجها]، فتحب زوجها.

العلاقة العاطفية مصدرها ودافعها هو الحب، الذي هو مفهوم صعب التجريد باعتباره حالا وجدانيا يعتري الإنسان، ولكن رغم ذلك فإنه يظل حقيقة يعيشها ويشعر بها ويلمس آثارها في واقعه. ولذلك يمكن القول أنه: مجموعة متنوعة من المشاعر الإيجابيَّة والحالات العاطفية والعقلية قوية التأثير، تتراوح بين أسمى السلوكيات والمواقف إلى أبسط العادات اليومية.

ومن ثم فإن مفهوم العلاقات العاطفية يشير إلى المشاعر والأحاسيس التي تكون بين الأشخاص، والتي رغم صورها الكثيرة وأشكالها المختلفة، فإنها أصبحت تتعلق أكثر بالعلاقة بين الجنسين وما قد يكتنفها من حب وانجذاب ورغبة. وقد أصبحت السوسيولوجيا تهتم بتأثير الثقافة في نمط هذه العواطف بما تضفيه عليها من معان تؤثر في كيفيات الإحساس بها والتعبير عنها، وكذا تبريرها وإضفاء الشرعية عليها.

2. التدافع الثقافي والعولمة

لقد عاد موضوع تدافع وصراع القيم الثقافية بقوة إلى الواجهة مع تحول العالم إلى قرية كونية بتعبير "ماكلوهان" بعد انفجار الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا التواصل وبروز ما أسماه "مانويل كاستلز" بظاهرة المجتمع الشبكي، ذلك أنه وبقدر ما قلصت هذه الثورة من مسافات بين ثقافات العالم بقدر ما أدت إلى احتدام التدافع بينها، خاصة وأنها ارتبطت بظاهرة العولمة التي سعى -ولايزال- من خلالها النموذج الليبرالي الغربي إلى بسط هيمنته الرمزية الثقافية عالميا

من حيث هي أداة تمكين وتوطيد للسيطرتين السياسية والاقتصادية، الشيء الذي جعل العديد من خبراء الاجتماع يرون أن مستقبل الصراع العالمي سيدور ويشتد أكثر حول هذه القيم.

إن التساوق بين ثورة المعلومات وسيادة النموذج الليبرالي الغربي ذي النزعة المركزية، أو ما وصفه البعض بـ "التحالف بين التقنية والثقافة الليبرالية" جعل من العولمة الأخيرة حدثا نوعيا أدى إلى تغيُّر عميق في العلاقة بين الثقافات من جهة، كما مس بنية الثقافة ذاتها من جهة أخرى.

يتمثل التغير الذي مس العلاقة بين الثقافات في تحولها من علاقات تعدد يتراوح بين التعايش والتدافع إلى تعدد مُهَدد بالانضواء كليا تحت ثقافة عالمية مهيمنة واحدة. فلم يعد مفهوم التغير الثقافي الحاصل في العولمة يشير فقط إلى تلك الظاهرة الحتمية التي تستغرق جميع الثقافات في تطلعها الطبيعي الدائم والمستمر إلى التجديد، والذي يعتبر الانتشار الثقافي أحد أبرز عواملها، وإنما أصبح التغير يشير أيضا إلى انتقال قسري للثقافات المغلوبة ماديا نحو الثقافة الغالبة بشكل إخضاعي يعزز سيادة القيم الثقافية للنموذج الغالب على حساب قيم جميع النماذج الأخرى، وذلك انطلاقا من نزعة المركزية الغربية وتمييزها بين: "الغرب والباقي"، "المركز والأطراف"..

وأما من جهة التغير الذي مس بنية الثقافة وما تعلق بها من قيم، فيتمثل في تحولها من بنية صلبة تتميز بالتجانس الداخلي لكل ثقافة والثبات النسبي والاستدامة "Durabilité"، إلى بنية هشة وسائلة بتعبير "سيجمونت باومان"، وقد تم ذلك بتأثير كبير من عولمة الثقافة المتساوقة مع حركة ما بعد الحداثة في تجاوزها للسرديات والمرجعيات الكبرى، فلم يعد مفهوم القيم الثقافية ذا علاقة باختيارات وجودية كبرى، وإنما أصبح اختيارات ذاتية فائقة النسبية، أي اختيارات لا يقينية مركزها وجهات نظر الأفراد وطموحاتهم الشخصية، وذلك ضمن ما يصفه مارك أوجيه بـ "تفريد المرجعيات" في اتجاه مجانسة الثقافة أو عولمتها[2]، أي التضحية بالتجانس الداخلي للثقافات لصالح تجانس ثقافي معولم.

3. السياق الليبرالي للعواطف

1.3. مقاربة البنية الاجتماعية والثقافية للعواطف

في سياق الحديث عن سيرورة عولمة العواطف تجدر الإشارة ابتداءً إلى أن العواطف رغم كونها ظواهر إنسانية كونية، إلا أنها تتأثر أيضا بالثقافة وتؤثر فيها، فهي لا تقف عند كونها سيرورات فردية جوانية غير قابلة للوصف (ماهية العواطف)، وإنما هي أيضا مشاعر بينية، أي علاقات تقوم على تمثلات تتمظهر في تعابير لغوية وسلوكية خاضعة في كيفياتها وطرقها لمواضعات كل مجتمع وثقافته.

ولذلك فإن "الحب سلوك ثقافي قبل أن يكون شعورا عاطفيا باطنيا فرديا. إننا نتعلم الحب قبل أن نحب، يتشكل لدينا تصور فكري عبر التنشئة الاجتماعية عن الحب قبل أن يتحول إلى عمق وجودي"[3].

ولهذا لم يعد يُنظر إلى هذه العلاقة العاطفية الرومانسية كتجربة شخصية بين فردين فحسب، بل قد أصبحت أيضا مبحثا اجتماعيا من حيث هي وليدة وعي جمعي يعكس بنية المجتمع ونمط قيمه الثقافية. فطرائق التعلق العاطفي، وإظهار الإعجاب والانجذاب والحب وكيفيات التعبير عنه ومدياته المسموح بها..، كلها متغيرة بناء على السياق الثقافي الذي تتم فيه.

ومن هذا المنظور جاء اقتحام السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا في العقود الأخيرة لمجال العلاقات العاطفية عموما ثم علاقات الحب بوجه خاص، وهو ما أسهم في مقاربة البنية الاجتماعية والثقافية لهذه العلاقات بعد افتكاكها من هيمنة المقاربة السيكولوجية.

لقد ظل موضوع العواطف ولفترة طويلة مبحثا سيكولوجيا بحتا، غير أن السوسيولوجيا الأخيرة أولته اهتماما بارزا بعد أن تبيَّنت أن المشكلات العاطفية لا تتعلق فحسب بالتاريخ السيكولوجي لأصحابها كما دأب التحليل النفسي التأكيد عليه، بل هي أيضا مواضيع متكررة اجتماعيا، ولها ثيمات مشتركة تقدمها كمشكلات اجتماعية.

فالمشكلات العاطفية والرومانسية الراهنة أضحت متكررة المواضيع ولها ثيمات اجتماعية مشتركة، وهي بالتالي مرتبطة ببنيات وسياقات اجتماعية وثقافية تتعالى عن كونها

مجرد اهتمامات فردية تتعلق بالتاريخ السيكولوجي لأصحابها كما ظل سائدا منذ ظهور التحليل النفسي لفرويد.

2.3. من تحرير السوق إلى فردنة العواطف

لقد بدأت الرأسمالية تنظيما عقلانيا للعمل الاقتصادي الحر أساسه قيم الإصلاح الديني البروتستانتي كما وصفها فيبر، لكنها ما لبثت أن تحولت في ذاتها إلى قيمة وجودية أساسها حرية الفرد، وتلك هي الليبرالية الشاملة التي تجاوزت حدود السوق وامتدت أخيرا لتفصح عن نفسها في أسلوب حياة الإنسان الخاصة وعلاقاته الشخصية، وبشكل أخص وأوضح في علاقاته العاطفية والحميمية.

ذلك أن التوجه الفرداني يرى أن حرية الفرد لا تتحقق بشكل فعلي وتام إلا في الحرية العاطفية والحميمية التي يرى فيها التجسيد الأقصى للذات الحرة. ولذلك فقد أصبحت دعوى "التحرر من القمع الاجتماعي للعواطف" تمثل الحدود الجديدة للنزاع من أجل الحرية في الحداثة الفائقة، حتى أن "ميشال لكروا" وصف هذه العودة بـ«عبادة المشاعر"، لا باعتبارها الاجتماعي التضامني، بل باعتبارها تعبيرا عن قمة تقديس الأنا بالنسبة للإنسان المعاصر[4].

هذه العودة الملفتة للعواطف ليست مجرد طفرة انتهت إليها الليبرالية المتأخرة، وإنما هي سيرورة رافقت أغلب أطوارها. غير أن الظهور الكثيف للعواطف ذات البعد الفرداني والطريقة التي تدار بها في عالم اليوم أظهر أن لهذه العواطف سياقا سوسيوتاريخيا يتصل اتصالا وثيقا بالقيم الليبرالية ذاتها. وبتعبير "إيفا إلوز" المتخصصة في سوسيولوجيا العواطف فإن الحب ينطوي على جزء من التاريخ الطويل والمعقد لاستقلالية الذات وحريتها، لكن غالبا ما يتم تناول هذا التاريخ (أي تاريخ استقلالية الذات وتحررها) من زاوية سياسية[5].

4. العواطف بين قيم التضامن والنزعة الفردانية

إن الانتقال من العلاقات الاجتماعية الكلاسيكية إلى علاقات فردية أكثر استقلالية، أدى إلى هشاشة التضامن الاجتماعي الذي هو مفهوم مركزي في سوسيولوجيا دوركايم والذي ينطوي -على الأقل في بعده "الميكانيكي" الآلي- على شعور ذي شحنة انفعالية عاطفية تفسره

كرابط اجتماعي، شأنه شأن ما أطلق عليه عبد الغني مغربي "ديناميكا الألفة" في مقاربته لمفهوم العصبية الخلدوني[6].

إلا أن التحول من التضامن الآلي ذي الكثافة العاطفية لم يتوقف عند التضامن العضوي ذي الكثافة التبادلية التي أملاها تقسيم العمل وما اقتضاه من قواعد ونظم بيروقراطية ميزت سيرورة العقلنة الغربية التي وصفها "فيبر" بـ"نزع السحر عن العالم"، -لم يتوقف عند ذلك- وإنما تجاوزه إلى ما حذر منه "فيبر" نفسه من أن تطور البيروقراطية سيؤدي إلى تراجع الحب ونشوء مجتمع مسجون فيما أسماه بـ "القفص الحديدي"[7] الذي يعيش الأفراد داخله بقدر ضئيل من التعاطف وبكثير من الحياد العاطفي وفق "بارسونز"، ومما أسماه "زيمل" بالبرودة واللامبالاة في وصفه حياة الشخص "الميتروبوليتاني" بالمدن الكبيرة "الميتروبوليس" التي تكون العلاقات فيها صماء وإلزامية مقابل عقلية المدينة الصغيرة التي تعتمد أكثر على المشاعر والعلاقات العاطفية[8]. [محاضرة الميتروبوليس والحياة العقلية 1903، جورج زيمل، ص2].

ولأن العواطف حالة إنسانية أصيلة فإن ضمورها داخل التضامن الاجتماعي الكلاسيكي جعلها تعيد إنتاج نفسها داخل التوافقات البيروقراطية التي رافقت الرأسمالية، فأصبحت -هذه العواطف- موضوعات "بين-شخصية" خاضعة للتبادل والتعاقد الذي تطور في الحداثة الفائقة إلى ما دعاه غيدنز بـ"العلاقة النقية" التي هي علاقة استمتاع مشترك، أي تغلب عليها المتعة. كما أنها غير خاضعة لأي التزام اجتماعي، أي غير مقيدة. وهي لذلك قائمة على تفاوض طوعي بين فردين متكافئين، فيما يشبه التوافق الديمقراطي في المجال العام، أو ما يمكن يسميه بـ"دمقرطة الحب"[9].

هكذا اختُزلت العلاقات العاطفية في بعدها الحميمي الشخصي حتى استغرق هذا البعد مسمى "العلاقة" ذاته، وقد أشار "غيدنز" إلى أن اصطلاح "العلاقة" "Relation" أصبح يستخدم حديثا لوصف جانب من الحياة الشخصية، وهو ينطوي بشكل رئيسي على كون الصلة المقصودة "حميمية"[10].

5. صعود العواطف بين الانكشاف وإعادة التشكيل

أفضت هذه السيرورة الكثيفة من التحول إلى تطورين لافتين طبعا العواطف الجديدة تمثلا في فقدانها لخصوصيتها وفي تحول مضمونها وفقدانها لأصالتها.

يتمثل التطور الأول في فقدان هذه العواطف لطابعها الخصوصي (السري + قواعد إظهار العواطف) وصعودها الملفت إلى المجال العام فأصبح تداولها عموميا بعدما أزيح عنها ستار المجتمع ومعاييره القيمية، وقد عد دوركايم انهيار هذه المعايير وتفكك النواظم الدينية الضابطة وجها من وجوه "الأنوميا" التي تُولِّد في شقها المتعلق بالعلاقات العاطفية عدم محدودية الرغبة والطموح اللامتناهي أو ما يمكن وصفه بالشراهة العاطفية الذي تَجسد في هذا الصعود المفرط للعواطف الفردية، والذي اعتبره "ميشال لاكروا" بمثابة تعويض، فالمشاعر تملأ الفراغ الذي تركه انهيار الأيديولوجيات[11]، وهو فراغ غير قابل للملء لعدم تحديد موضوع الرغبة الناتج عن انفتاح أفق الممكن وفق دوركايم[12] وانعدام اليقين حول الهوية.

ذلك أن تلاشي المعايير يُفقد هذه العلاقات العاطفية أية غاية إلا تلبية الرغبة اللامتناهية ذاتها، فتصبح علاقات غير قابلة لأي التزام يحد من هذه الرغبة. وقد ينطبق ذلك حتى على خياري الخطبة والزواج حينما يتحولان إلى مجرد ترسيم لرغبات فارغة من أي التزام اجتماعي، ما يحول دون استقرارهما بعد أن أصبحا قفزا لانهائيا بين خيارات لا حصر لها.

وقد عاد هذا الانكشاف للذات العاطفية على سرعة وقوة وتيرة هذا الانكشاف ذاته، -عاد- مع تطور الرأسمالية التي حاولت إخضاع كل العلاقات الاجتماعية للعقلنة بما فيها علاقات الحب التي تتميز بأنها حال وتجربة ذاتية تعاش بشكل مباشر، أو هي بتعبير ابن عربي "إدراك ذوقي عزيز التصور"[13] تلتحم فيه الذات بالموضوع في وحدة لا تقبل التجزئة.

غير أن الرأسمالية حاولت عقلنة وتفكيك هذه الوحدة بين الذات والموضوع، وساهمت في إحداث المسافة بينهما، ثم استغلت تلك الفجوة بينهما في إعادة انتاج هذه العواطف وفق طموحاتها الاستهلاكية (ظهور مفاهيم تقديس الذات وتأكيدها)، بما أتاح لها التحكم بشكل

أفضل في عواطف المستهلكين، وهذا ما أسهم في قوة وسرعة وتيرة هذا الصعود للعواطف. (الصناعة السنيمائية مثلا).

أما التطور الثاني فله علاقة بالتطور الأول ويتمثل في إعادة تشكيل مضمون العواطف داخل ما أسماه "جون سكوت" بـ«مجتمع ما بعد العاطفية"[14] حيث لم يعد الأفراد قادرين على الشعور بعواطف "أصيلة" نابعة من الذات، وهذا بعد انكشاف الذات وعواطفها (كما سبق ذكره) أمام تكنولوجيا الإعلام الرأسمالي الذي -حسب إيفا إلوز- أنتج سرديات مولدة للخيال العاطفي (قصص، روايات، أفلام، ومضات دعائية..) وعمل عبر آليات التماهي والمحاكاة على جعلها جزءا من طريقة التخيل والتوقع العاطفي المبالغ فيه. فلم تعد عواطف ذاتية خالصة وإنما أصبحت مشوبة عناصر خارجية دخيلة تتحكم فيها حتى من دون وعي أصحابها.

6. انعكاسات عولمة العلاقات العاطفية

تمتد انعكاسات العولمة الثقافية للعلاقات العاطفية لتمس المفاهيم التقليدية لكثير من الثقافات في العالم، المحافظة منها خاصة، بل وإعادة تشكيل هوياتها. وهو ما يتجسد من خلال تعميم النموذج الفرداني لهذه العلاقات الذي يتعارض بشكل كبير مع قيم هذه الثقافات، كالترويج الإعلامي لـ "العلاقات العابرة والمفتوحة" و"الاستقلالية المطلقة"، مما يؤثر على تصورات الشباب في هذه المجتمعات التي تعتبر الزواج مؤسسة اجتماعية مقدسة.

وفي هذا الإطار تندرج المجتمعات الإسلامية التي تبدو في الأصل أشد حساسية من غيرها في هذا المجال، وذلك لاعتبارات الدين والأعراف التي تبدو استباقية (سد الذرائع) وصارمة تجاه مثل هذه العلاقات لما يمكن أن تفضي إليه من انتهاك ديني ودنس اجتماعي. إذ رغم ذلك لم تمنعها سطوة هذه العولمة من أن تعيش إرهاصات هذه التحديات العاطفية، وذلك من خلال المحمولات الثقافية للتبادلات المادية والرمزية، والتي تكثفت مع الانفجار المعلوماتي الأخير فغدت تمس وبشكل غير مسبوق المنظومات القيمية لهذه المجتمعات، حتى وجد الكثير من المسلمين أنفسهم ملزمين بمراجعة بعض أخص مفاهيمهم حول ذواتهم مثل هوياتهم الشخصية وعلاقاتهم العاطفية والجنسية وأدوارهم الجندرية والأسرية.

إن تسهيل التواصل بين الجنسين خارج الإطار الشرعي عبر منصات التواصل، والترويج الإعلامي لعلاقات عابرة خالية من الالتزامات الأسرية، من مثل مفاهيم "الصداقة بين الجنسين" و"العلاقات المفتوحة" كبديل للزواج ومقتضياته يتعارض تعارضا شديدا مع الضوابط الشرعية الإسلامية التي تحدد بدقة بالغة طبيعة هذه العلاقة، باعتبارها تأسيسا لـ "ميثاق غليظ" يتمثل في الزواج الشرعي المفضي إلى الاستقرار العاطفي المتمثل في المودة والرحمة بين الزوجين، وإلى المسؤولية المشتركة في تكوين الأسرة التي تنبني عليها الكثير من أحكام الدين الإسلامي وتشريعاته.

7. خاتمة وتوصيات

لقد كانت العواطف ولا تزال في قلب التحولات التي شهدها ولا يزال العالم بداية من الحداثة إلى ما بعدها، وذلك لعلاقتها الوثيقة بالتحول الذي أصبح يمس مفهوم المجتمع ذاته وبنيته في انتقاله من التضامن الآلي التعاطفي إلى التضامن العضوي التعاقدي ضمن النزعة الرأسمالية، وصولا إلى النزعة الفردانية المتمثلة في الارتباطات "النقية" بمفهوم "غيدنز".

ولذلك فإنه وضمن هذا التحول لم تسلم العواطف الإنسانية بما فيها الحب من مصيدة التبضيع الرأسمالي المادي، الذي حاول ولا يزال المساس بهذه العواطف التي هي أخص وأسمى ما في إنسانية الانسان، وذلك بإقحامها مجال السوق وتوظيفها ضمن ما يخدم مقتضياته الاستهلاكية. وهو ما أدى إلى إعادة تشكيلها وتنميطها بما يهدد دورها في تنمية العلاقات الإنسانية. فالحب الذي هو أحد أهم ركائز التضامن الاجتماعي أصبح داخل هذه العولمة الرأسمالية أداة لترسيخ الفردانية والنزعات اللاجتماعية التي أصبحت تحكم الحياة المعاصرة.

هذا النمط من العواطف الذي انتهى إليه السياق الغربي في نسخته الأخيرة أصبح يشكل ذروة عولمته الثقافية التي أصبحت تطال جميع المجتمعات وتخترق منظوماتها القيمية، والتي منها المجتمعات الإسلامية التي تبدو في الأصل أشد حساسية من غيرها في هذا المجال، وذلك لاعتبارات الدين والأعراف التي تبدو استباقية (سد الذريعة) وصارمة تجاه مثل هذه العلاقات لما يمكن أن تفضي إليه من انتهاك ديني ودنس اجتماعي.

لكن ورغم ذلك فإن سطوة هذه العولمة لم تمنع هذه المجتمعات الإسلامية من أن تعيش إرهاصات هذه التحديات العاطفية، وذلك من خلال المحمولات الثقافية للتبادل الاقتصادي المادي، والمضامين الإعلامية للتواصل الرمزي، والتي تكثفت مع الانفجار المعلوماتي الأخير فغدت تمس وبشكل غير مسبوق المنظومات القيمية لهذه المجتمعات، حتى وجد الكثير من أفرادها أنفسهم ملزمين بمراجعة بعض أخص مفاهيمهم حول ذواتهم مثل هوياتهم الشخصية وعلاقاتهم العاطفية والجنسية وأدوارهم الجندرية والأسرية.

مواجهة هذه التحديات باتت تتطلب من المجتمعات الإسلامية (حكومات ومجتمعات) نهجًا متوازنًا يجمع بين الحفاظ على الهوية الإسلامية ومواكبة التغيرات العالمية. هذا يتضمن تعليمًا واعيًا، وإعلامًا هادفًا، وسياسات اجتماعية تدعم التماسك الأسري، مع الاستفادة من أدوات العصر دون الذوبان في ثقافته.

و انطلاقا من ذلك يمكن التوصية بما يلي:

1- تعزيز التنشئة الأسرية وفق القيم الدينية والثقافية لهذه المجتمعات. وتفعيل لغة الحوار المفتوح بين الأجيال حول مثل هذه التحديات، من قبيل تأثير وسائل التواصل الاجتماعي، وضرورة الحفاظ على الخصوصية الثقافية.

2- إدراج محددات هذه العلاقات وضوابطها في المناهج التعليمية من خلال التركيز على قيم الزواج كأساس وحيد لهذه العلاقات العاطفية، وبيان حدود التواصل بين الجنسين كما تنص عليها المبادئ والقيم الإسلامية، مع تعزيز مفاهيم الاحترام والمسؤولية.

3- توظيف وسائل الإعلام من خلال تكثيف إنتاج برامج توعوية نوعية تُظهر جمالية العلاقات الإسلامية القائمة على العفاف والمودة، وتناقش أساليب وكيفيات الموازنة بين الأصالة والحداثة.

4- استخدام التكنولوجيا بشكل واعٍ وإيجابي من خلال العمل على إنشاء منصات رقمية تنافسية ذات محتوى هادف يعرض نماذج ناجحة للعلاقات الزوجية

والأسرية في الإسلام، ويُعرِّف بالمخاطر الأخلاقية للعلاقات العابرة التي تروج لها الثقافة المعولمة.

5- تعزيز الهوية الثقافية عبر المؤسسات المجتمعية من خلال تفعيل دور المساجد ومراكز التوجيه والإرشاد، وذلك بتنظيم ورش عمل وحملات توعوية حول فقه مثل هذه العلاقات في الإسلام، وربطها بالواقع المعاصر دون التنازل عن الثوابت الدينية.

6- تذليل الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية أمام الشباب لتحقيق احتياجاتهم العضوية والعاطفية ضمن ضوابط الدين والمجتمع، كتسهيل الزواج من خلال دعم الشباب ماديًا ومعنويًا لردم الفجوة بين بلوغهم الجسدي واستعدادهم الاجتماعي للزواج، مما يُقلل من الانجراف نحو العلاقات غير الشرعية.

قائمة المصادروالمراجع:

- إريك فروم، فن الحب- بحث في طبيعة الحب وأشكاله، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، 2000.

- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة د. فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.

- إيفا إلوز، نهاية الحب- سوسيولوجيا العلاقات السلبية، ترجمة جلال العاطي ربي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، الجبيل المملكة العربية السعودية، ط1، 2022.

- جان لوك ماريون، ظاهرة الحب ست تأملات، تر يوسف تيبس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2015.

- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2013.

- دورتيه، ج.ف، معجم العلوم الإنسانيّة، تر: جورج كتورة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي- الإمارات العربيّة المتّحدة، ط2، 2011.

- زيجمونت باومان، الحب السائل- عن هشاشة الروابط الانسانية، تر: حجاج أبو جبر، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2017.

- سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الاجتماع، دار صائغ، بيروت، ط1، 2014.

- سناء محمد سليمان، سيكولوجية الحب والانتماء، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2013.

- محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.

- ميشال لكروا، عبادة المشاعر، ترجمة د. أمين كنون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2017.

- ويليم آوثوايت، قاموس بلاكويل للفكر الاجتماعي الحديث، ترجمة معهد دراسات عراقية، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط1، 2022.

- Anthony Giddens, The transformation of intimacy, Stanford University Press, California, Original printing 1992.

التهميش والاقتباس:

(1)- ماثيو أنجيلكه، كيف تفكر كأنثروبولوجي، ترجمة عومرية سلطاني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2020، ص34.

(2)- مارك أوجيه، اللا أمكنة- مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة، ترجمة ميساء السيوفي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ط2، 2022، ص44.

(3)- جان لوك ماربون، ظاهرة الحب ست تأملات، تر يوسف تيبس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2015، ص12.

(4)- ميشال لكروا، عبادة المشاعر، ترجمة د. أمين كنون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2017، ص49.

(5)- إيفا إلوز، نهاية الحب- سوسيولوجيا العلاقات السلبية، ترجمة جلال العاطي ربي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، الجبيل المملكة العربية السعودية، ط1، 2022، ص17.

(6)- عبد الغني مغربي، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص146.

(7)- جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط2، 2013، ص269.

8 - Georg Simmel, The Metropolis and Mental Life, University of Chicago Press, 1971, P2.

9 -Anthony Giddens, The transformation of intimacy, Stanford University Press, California, Original printing 1992, P3.

(10)- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة د. فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص251.

(11)- ميشال لكروا، مرجع سابق، ص7.

(12)- د. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات علم الاجتماع، دار صائغ، بيروت، ط1، 2014، ص 64.

(13)- محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص502.

14 - جون سكوت، مرجع سابق، ص273.